

الملاحظات

مما يثير الاهتمام أن يستنتج الكثيرون من فقهاء الكتاب المقدس -في الغرب- في القرن التاسع عشر بأن المجيء الثاني للمسيح بات وشيكاً. وبأن ذلك، طبقاً لاجتهادات العديدين، سيحدث حوالي سنة ١٨٤٤م.^(١) فلم يكن غريباً أن تبخر جماعة من الألمان عرفوا باسم الهيكلين متجهة إلى الأرض المقدسة، تاركين بيوتهم وراءهم في غمرة الحماس واللهفة للقاء الرب عند قدومه. ذلك بأنهم اعتقدوا أن المسيح سيظهر هناك. وسيعرفه الناس من كل الأجناس وبأنه سيؤسس عرش سلطنته الروحية في تلك الأرض. اتفق توافدهم على سفح جبل الكرمل في نفس سنة إعلان دعوة حضرة بهاءالله في بغداد البعيدة (١٨٦٣م)، حيث شيدوا لهم مستعمرة (١٨٦٨م) بموقع يبعد نحو ميل إلى الغرب من قرية حيفا في تلك الأيام. هذا ولا تزال عبارة "الرب قريب" منقوشة على مداخل بيوتهم.

كم هو ذو مغزى أن يقترب منهم حضرة بهاءالله بعد ذلك بسنوات، بل أن يضرب خيمته بجوارهم، وبذلك يكون الرب قد مرّ بهم دون أن يعرفوه. حتى إن حضرة بهاءالله أنزل لوحاً جواباً على رسالة من جورج ديفيد هارديج، رئيس

الهيكلين بحيفا. يبدو أن هذا اللوح النازل بالعربية، المعروف بـ "لوح هرتيك"، قد أنزله حضرة بهاءالله في بيت عودي خمار.

يكتسب هذا اللوح أهمية خاصة إذا ما أخذ بعين الاعتبار حقيقة ذهاب الهيكلين إلى الأرض المقدسة لا لغرض إلا رؤية عودة المسيح. بمطالعتة يميل المرء للاعتقاد بأن هارديك، صاحب اللوح المذكور، كان حسن الإطلاع بما في ذلك اللوح من لغة الغيبيات. يصرح حضرة بهاءالله بأنه وجد في رسالة هارديك دلالات على صدقه وإخلاصه، ويدعو الله عسى أن يعرفه ما هو المستور في هذا اللوح، ويسمعه هدير الوراقاء. ثم يحثه على التفكير في كلمة الله وعظمتها وحلاوتها، مذكراً إيّاه كيف كان نفوذ كلمة الله السبب في جذب قلب أول من آمن بالروح (حضرة المسيح)، ويصرّح بأن ما منع غالبية الناس عن عرفان مولاهم غير ظنونهم وأوهامهم، ويشهد بأن البر والبحر في هذا اليوم يقرّان بالله، وبأنه إذا أتى الميقات يصيح الكرمل كأنه اهتز من اهتزاز نسمة الرب.

ثم يلفت حضرة بهاءالله انتباه هارديك إلى أيام حضرة المسيح عندما أنكره العلماء والفضلاء والأدباء في زمانه، وأقبل إلى الملكوت من يصطاد الحوت والذي لا معرفة لديه ولا تحصيلاً علمياً. هذا ويطمئن حضرة بهاءالله هارديك مؤكداً له لو أنه يتفكر فيما مضى خالصاً لوجه الرب فإنه سيرى النور مشرقاً أمام وجهه. ثم يؤيد آراء

هارديك حول الظلام الذي أحاط الأنام مبيّناً بأن الظلام هو الأوهام وبها منع الأنام عن التوجّه إلى الملكوت إذ ظهر بأمر الله.

ولو أن حضرة بهاء الله يتحدث في هذا اللوح عن ظهور الله في هذا العصر بشكل عام، وعن هدير الوراقاء، وخرير ماء الحيوان، وظهور نور الله وملكوته، إلا أنه لا يعلن صراحة عن مقامه الخاص ولا يشير إلى شخصه بعبارات جلية. في الحقيقة يعلن بأنه لو ينكشف رمزٌ من سرِّ الذي كان مقنّعا بالسرِّ -يعني نفسه- لتضطرب أفئدة الذين أخذوا ما عندهم ونبذوا ما عند الرب. لعل سبب ذلك يعود إلى أن حضرة بهاء الله، الذي سبق له أن منع أتباعه من تبليغ أمره إلى الناس المقيمين في ظل الحكم العثماني، لم يرَ من الحكمة الإعلان صراحة عن مقامه لأفراد المستعمرة المسيحية المقيمين في حيفا.

زيادة على ذلك فإن قسماً من هذا اللوح أنزل بلغة الرمز. مثلاً نجد أن حضرة بهاء الله يُركّب اسمه باستعمال مجموعة معقدة من الحروف العربية⁽¹⁾ ترمز بدورها لبعض كلمات هامة من ألواح أخرى أنزلها هو أو حضرة الباب وكذلك كلمات من أصل إسلامي. ولأجل أن يلم المرء بمغزى هذه الألفاظ الرمزية يلزمه الإطلاع

(1) حيث إنّ لكل حرف قيمة عددية، لذا يمكن الإشارة إلى كلمة برقم وبالعكس.

والإمام الجيد أولاً بالنصوص المقدسة لهذه الأديان. كما أنه بالاستعانة بحساب الجُمْل الأبجدي يستخرج حضرة بهاءالله كلمة "المُعْزِي" التي هي إشارة إلى مقامه الخاص في الإنجيل كما ورد ضمن مصطلحات الأخير. هذا ويصعب الاعتقاد بأن صاحب هذا اللوح كان على درجة من المعرفة المتخصصة تمكنه من فهم غوامض العبارات الرمزية التي تعمد حضرة بهاءالله إيرادها في هذا اللوح. ويحتمل أن لهذا السبب يدعو حضرة بهاءالله في مقدمة اللوح عسى أن يمن الله على هارديك بمعرفة ما انطوى اللوح عليه من أسرار كلماته. ويطمئنه بأنه لو تأمل في نصائحه وعمل وفقها ليجد الحقيقة في هذا اليوم.

لا داعي للقول بأن لا هارديك ولا سواه من أفراد هذه المستعمرة المسيحية قد تمكن من عرفان أحقية دعوة حضرة بهاءالله. ذلك رغم أنه منذ أيامهم الأولى هناك كان قد تم اتصال بين بعض أفراد المستعمرة هذه، بمن فيهم هارديك نفسه، وبين المؤمنين، وكذلك مع حضرة عبد البهاء، وأن حضرة بهاءالله زار حيفا في أواخر سني حياته وبقي مرة في أحد البيوت التابعة للهيكلين. وقد يبدو أمراً غريباً لأي مراقب أن يخفق أولئك في عرفانه والإيمان به، سيما إذا كان المرء غير مطلع على تاريخ الأديان -وهو تاريخ يعيد نفسه كلما جاء مظهر إلهي جديد للبشر. فقبل مجيء الهيكلين الألمان للأرض المقدسة بحوالي ألفي عام كان سكان تلك الديار يترقبون بتوق كبير

وتلهف شديد قدوم مسيحيهم، وإذا بهم عندما أظهر نفسه في وسطهم بشخص حضرة المسيح يرفضونه ولا يعترفون به. وتنطبق على حالهم كل الانطباق هذه الكلمة من كلمات حضرة بهاءالله:

"انظروا إلى الأيام السالفة. كم من العباد من شريف ووضع كانوا دائماً ينتظرون ظهورات الأحذية في الهياكل القدسية، على شأن كانوا في جميع الأوقات والأزمنة يترصدون وينتظرون، يدعون ويتضرعون، لعل يهبّ نسيم الرحمة الإلهية، ويطلع جمال الموعود من خلف سرادق الغيب إلى عرصة الظهور، وعندما كانت تفتح أبواب العناية، ويرتفع غمام المكرمة، وتظهر شمس الغيب عن أفق القدرة، يقوم الجميع على تكذيبها وإنكارها ويحترزون عن لقاءها الذي هو عين لقاء الله..."

"كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد ٣"